السؤال

جاء في سورة النجم أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم قد رأى سيدنا جبريل مرتين ، فما هي المرتان ؟ وهل كانت المرة الأولى في الأفق الأعلى في أول نزول الوحي ، والثانية في سدره المنتهى ؟ وإذا كان وقعت رؤية الروح الأمين مرتين ، فكيف نفسر سورة المدثر ، بأنه رأى الروح الأمين جالسا على كرسي بين السماء والأرض ؟ لعلها لم تكن هذه الهيئة هي هيئة سيدنا جبريل الحقيقية ! والصورة التي تصورها الآيات من 5 إلى 12 في سورة النجم تصور سيدنا جبريل بأنه جالس ويملاً الأفق ، ثم يقترب من الرسول صلى الله عليه وسلم . فهل فهمي للآية هكذا صحيح ؟ أم أن المرة الأولى حين نزل الوحي كانت قبل بلوغ الأفق الأعلى . أنا طالب لعلم التفسير ، وأريد ردا على هذا السؤال .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

الذي تقرره الأدلة الصريحة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها مرتين اثنتين فقط ، وقد عد السيوطي رحمه الله هذا الأمر من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم كما في " الخصائص الكبرى " (1/197)، وهاتان الرؤيتان هما :

الرؤية الأولى : كانت في الأرض في بداية الوحي ، ونزلت عليه بعدها سورة المدثر .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةٍ - أَي انقطاع - الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ : (فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِجِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَجَنَنْتُ مِنْهُ رُعْبًا فَرَجَعْتُ ، فَقُلْتُ : زَمَلُونِي ، زَمَلُونِي ، فَدَثَرُونِي ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ - إِلَى - وَالرَّجْزِ فَاهْجُرْ) رواه البخاري (4641) ومسلم (161) .

وهذه الرؤية هي التي قال الله سبحانه وتعالى فيها : (وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ) التكويد/23 .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

"يعني : ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ، (بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ) أي : البين ، وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء (موضع بمكة) ، وهي المذكورة في قوله : (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأَفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) النجم/5-10 ،

كما تقدم تفسير ذلك وتقريره ، والدليل أن المراد بذلك جبريل عليه السلام .

والظاهر - والله أعلم - أن هذه السورة - يعني سورة التكوير - نزلت قبل ليلة الإسراء ؛ لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية ، وهي الأولى .

وأما الثانية وهي المذكورة في قوله : (وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ) النجم: 13 - 16 ، فتلك إنما ذكرت في سورة " النجم " ، وقد نزلت بعد سورة الإسراء " انتهى .

" تفسير القرآن العظيم " (8/339) .

والرؤية الثانية : كانت في السماء ، ليلة الإسراء والمعراج عند سدره المنتهى .

وقد نصت الآية في سورة النجم على الرؤية الثانية ، وأشارت إلى الرؤية الأولى ، وذلك في قوله سبحانه وتعالى : (وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَىٰ . عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ) النجم/13-14 .

قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير هذه الآية : رأى جبريل له ستمائة جناح .

رواه البخاري (3232) ومسلم (174) .

قال النووي رحمه الله :

" وهكذا قاله أيضا أكثر العلماء ، قال الواحدي : قال أكثر العلماء : المراد رأى جبريل في صورته التي خلقه الله تعالى عليها " انتهى .

" شرح النووي على مسلم " (3/7) .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

" هذه الرؤية - يعني الأولى - لجبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض ، فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلّى إليه ، فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها ، له ستمائة جناح .

ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدره المنتهى ، يعني ليلة الإسراء " انتهى .

" تفسير القرآن العظيم " (7/445) .

ولم يثبت وقوع رؤية ثالثة حقيقية لجبريل عليه السلام ، وقد قالت عائشة رضي الله عنها :

(وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ) رواه البخاري (4855) ، وهو عند الإمام مسلم (177) من كلام النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظْمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) .

والله أعلم .